مؤسسة صرح الخلافة

تقدم:

تفريغًا للإصدار المرئي:

هُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ
(العشر الأواخر والقدر)



ولاية غرب إفريقية

12:20 دقيقة

رمضان 1447 هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

مؤسسة صرح الخلافة



تقدم

تفريغًا للإصدار المرئي

هُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ

العشر الأواخر والقدر

الصادر عن ولاية غرب إفريقية

رمضان ١٤٤٧هـ





نشيد:

بآي الكتاب المجيد الموقر *** يزال غبار المعاصي ويلقى

إذا ما على قلب عبد توالت *** فيبقى الفؤاد مزكى ...



أبو عبد الرحمن الأنصاري

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين؛ أما بعد:

إخواني في الله، أفتتح كلامي بإيصاء نفسي وإياكم بتقوى الله تعالى، في شهر التقوى، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ١٨٣]، فالتقوى هي التي تجعل المرء يتفكَّر في مبدأه ومصيره، واجتهاده وتقصيره، وخطأه وصوابه، وما هو له وما هو عليه، والناس في ذلك متفاوتون بحسب ما لدى كلٍّ منهم من المعرفة بالله تعالى، فصاحبُ التقوى يعلم أن كل يوم له يمضي يقترب أجله، ويُنقَص من عمره ونفسه، وأيامه التي كلها معدودة، فيحاسب نفسه، ويجعله ذلك يندب حاله ويسعى في تدارك ما فات بمضاعفة الجهود، فما أسرع انقضاء أيامنا لو تفكرنا!

معاشر الأحبة، يا من مَنَّ الله علينا وعليهم بأن أمد لنا أعمارنا إلى هذا الشهر المبارك، وتفضل علينا بأن أحيانا إليه، نصوم أيامه ونقوم لياليه؛ ها هي أيام الشَّهر تجري جريًا حثيثًا وكلمح بالبصر، يقال: قد انصرم الشهرُ وذهبت أيامه العطرةُ ولياليه العذبة، ويذهب بأجوره مِن الناس مَن اغتنمه، ومَن سواهُ بوزره أو بوفاة بن خال يذهب، وهو

يعضُّ أصابع الندم، ويقلب كفيه حسرةً على ما فرَّط فيه في جنب ربه، وعلى كسله وقبوله بالخسارة في مضمار السباقِ إلى نيل المغفرةِ والرضوانِ في الأيام المعدودات، ولا يزالُ يقرع مسامعَه ويكدر صفوَه الوعيدُ الشديدُ الذي جاء في الحديث الصحيح؛ لما يعلم من تفريطه، والله المستعان.

أخرج ابن حبان في صحيحه وغيرُه عن مالك بن الحويرث قال: "صعد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– المنبر، فلمَّا رقي عتبة قال: (آمين)، ثمَّ رقي عتبة أخرى، فقال: (آمين)، ثم رقي عتبة ثالثة، فقال: (آمين)، ثم قال: (أَتَى جِبْرِيلُ فقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، فَأَبْعَدَهُ اللهُ، قُلْتُ: آمِينَ، قَالَ: وَمَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا، فَدَخَلَ النَّارَ، فَأَبْعَدَهُ اللهُ، قُلْتُ: آمِينَ، فقَالَ: وَمَنْ ذُكِرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ، فَأَبْعَدَهُ اللهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ)".

أحبتي في الله، بالأمس قد كنا نعدُّ أياما بقيت قبلَ رمضان، واليوم نعدُّ أيامًا بقيت فينتهي الشهرُ وينصرم، فهلَّا انتبهنا لسرعة مضيِّ الأيام وفوات الفرص، وانتهاء أعمارنا واقتراب آجالنا مع تفريطنا في جنب ربنا، وتكاسلنا عن التزوُّد لدار الآخرة التي ننتظرُ وقت رحيلنا إليها! وهلَّا نشمرُ ونعزمُ على تدارك ما فات! أو ليس شهرُ رمضان شهرَ القرآن، والصدقة والإحسان، والذكر والدعاء والسباق إلى المغفرة والرضوان؟! قال تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ} [البقرة: ١٨٥].

ثبت في الصحيحين عن ابن عباس قال: "كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أجود الناس، وكان أجود ما يكونُ في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاهُ في كل ليلة من رمضان، فيدارسُهُ القرآن، فلرسول الله –صلى الله عليه وسلم– أجودُ بالخير من الريح المرسلة"، وقد كان الزهريُّ إذا دخل رمضانُ يقول: "إنما هو قراءةُ القرآن وإطعامُ الطعام".

قال ابن رجب -رحمه الله- تعليقًا على الحديثِ الآنفِ الذكر: "دل الحديث على استحباب دراسة القرآن في رمضان، والاجتماع على ذلك وعرض القرآن على من هو أحفظُ له، وفيه دليلٌ على استحباب الإكثار من تلاوة القرآن في شهر رمضان".

وللأسف؛ ما أكسلنا حتى قد تقول: إن أيامنا الفائتة لا تحسب علينا! فها هو رمضانُ شهر الرحمات والبركات، والغفران والعتق من النيران، أبوابُ الجنانِ فيه مفتحة، وأبواب النيران فيه مغلقة، والشياطين ومردة الجان مصفَّدة، ها هو قد شقَّ طريقه نحو الانصرام والانقضاء، ونستقبلُ عشره الأخير كما أسلفنا، فالبدار البدار!

أما حبيبنا وقدوتنا المصطفى -صلى الله عليه وسلم-؛ فقد كان يضاعف جهوده في العشر الأواخر من رمضان؛ فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: "كان النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا دخل العشرُ شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله وجدَّ"، [متفق عليه].

بل كان -صلوات ربي وسلامه عليه- يتفرَّغ للعبادة ويعتكف في المسجد، كما جاء عند البخاري عن أبي هريرة قال: "كان يعرض على النبي -صلى الله عليه وسلم- القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه، وكان يعتكف كل عام عشرة، فاعتكف عشرين في العام الذي قبض فيه".

وعند الشيخين عن عائشة -رضي الله عنها- زوج النبي -صلى الله عليه وسلم-: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى، ثم اعتكف أزواجه من بعده، [متفق عليه].

إخواني في الله، اعلموا أن العشر الأواخر ليالٍ جليلة، فيها ليلة القدر، وما أدراكم ما ليلة القدر؟! ليلة القدر ليلة عظيمة القدر، فيها أنزل القرآنُ الكريم جملة واحدة إلى السماء الدنيا من السماء العليا، وكان ينزل على النبي -صلى الله عليه وسلم- نجوما على حسب الحاجة، وكان بين نزول أوله وآخره على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثلاثٌ وعشرون سنة.

قال تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [البقرة: ١٨٥].

وقال: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ} [القدر: ١-٥].

وقد قيل: سميت ليلة القدر لعظمها وشرفها على غيرها من الليالي، من قولهم: "فلانٌ ذو قدر"، أي: ذو شرف ومكانة رفيعة، وقيل: "القدرُ هو التقدير"، أي: ليلة التقدير لجميع أمور السنة، أي: أنَّ الله يقدِّر فيها ما شاء من أمره إلى السنة القابلة، وقيل: "سميت بذلك لأن للطَّاعات فيها قدرًا عظيمًا وثوابًا جزيلًا".

ومما ورد أيضا في فضل ليله القدر: حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)، وحديثُ عبادة بن الصامت أنَّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (لَيْلَةُ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْبَوَاقِي، مَنْ قَامَهُنَّ ابْتِغَاءَ حِسْبَتِهِنَّ، فَإِنَّ اللهَ يَغْفِرُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَهِيَ لَيْلَةُ وِتْرٍ تِسْعٍ أَوْ سَبْعٍ أَوْ خَامِسَةٍ أَوْ ثَالِثَةٍ أَوْ آخِرِ لَيْلَةٍ).

وليلة القدر باقيةٌ وتحريها في الوتر من العشر الأواخر من كل شهر رمضان؛ لحديث عائشة -رضي الله عنها- أنَّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوِتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ)، وليلة القدر منتقلةٌ في الوتر من العشر الأواخر من رمضان جمعًا بين الأدلة؛ وذلك أنها انتقلت في حياة الرسول -صلى الله عليه وسلم- في ليالي الوتر من العشر الأواخر، ولا يضرُّ قول مَن عينها مِن الصحابة تمسُّكًا بما شهده من وقوعها في ليلة من تلك الليالي، والله أعلم.

فاجتهدوا أحبتي في الله، واغتنموا ما تبقى من أيام الشهر، واعمروها بأعمال البر، وتحروا أفضل الأعمال وأحبها إلى الله تعالى، وعلى رأسها الجهاد والرباط؛ فقد أخرج ابن حبان في صحيحه بإسناد صحيح عن مجاهد عن أبي هريرة: أنه كان في الرباط، ففزع الناس إلى الساحل، ثم قيل: لا بأس، فانصرف الناسُ وأبو هريرةَ واقف، فمرَّ به إنسانٌ فقال: "ما يوقفك يا أبا هريرة؟" فقال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (مَوْقِفُ سَاعَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ عِنْدَ الْحَجَرِ الأَسْوَدِ)، فكيف بالجهاد والرباط في رمضان؟! وكيف بمن جمع بين الجهاد والرباط وسائر القربات؟! فلا شك أنه السابق المغبوط، ويا لأجره وفوزه إنْ أخلص لله عمله!

وفقنا الله وإياكم بليلة القدر، وجعلنا بلطفه وكرمه ممن يقومها إيمانا واحتسابا، ويقوم رمضان ويصومه إيمانا واحتسابا، والحمد لله رب العالمين.

المكتب الإعلامي لولاية غرب إفريقية – رمضان ١٤٤٧ هـ

لا تنسوا إخوانكم من الدعاء

